

أعلام جزائريين في اللغة والأدب في العهد العثماني من خلال كتاب "تاريخ الجزائر العام"

د. مختارية بن قبيلية

جامعة ابن باديس، مستغانم، الجزائر

"تاريخ الجزائر العام"؛ هكذا فضل أن يسمي العلامة عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، فهو الكتاب الذي حمل في طياته أجزاءه ذاكرة شعب ووطن، فكتب عن الدين والعلم، وعن السياسة والمجتمع، وعن السلم والحرب، والأدب والفنون والاقتصاد والعمران والصناعة، كما حمل تراجم وافية لشخصيات اشتهرت في تلك الميادين على اختلافها، هكذا أراد صاحبها فكان عزوة للباحثين على اختلاف تخصصاتهم، وسلوى للمثقفين على اختلاف اهتماماتهم. أما في مجال الأدب واللغة فهناك الكثير لقوله؛ من مراحل انتشار اللغة العربية في الجزائر وأسباب نبوغ علمائنا، وكذا طرق وأماكن تدريسها، والعقبات التي واجهتها في عهد الاستعمار الفرنسي وما إلى ذلك. ولشساعة هذا الموضوع، والاهتمام الكبير الذي أعطاه له المؤلف، ارتأيت أن أبحث في جزئية "أعلام اللغة والأدب" وما جمعه العلامة عبد الرحمن بن محمد الجيلالي عن هؤلاء من أخبار ومناقب ومآثر، ولأن القائمة طويلة جدا، اخترت العهد العثماني كمجال زمني للدراسة.

تشكل الفترة المختارة للدراسة جزءا من المدة التي عالجها الجزء الثالث من الكتاب النموذج، وهي تدور في زمن الحكم العثماني للجزائر، ولا تكون فائدة الكتاب مكتملة إلا إذا اطلع المتلقي على كل أجزائه، وذلك لاشتماله: "على إيجاز وافٍ مفصل لتاريخ القطر الجزائري في جميع أطواره وحركاته السياسية

والاجتماعية والعلمية والدينية والأدبية والفنية والاقتصادية والعمرانية والصناعية، مع تراجم العبقريين وأرباب القرائح من مشاهير الجزائريين منذ أقدم العصور¹ إلى فترة التأليف.

يهتم الكاتب في هذا المؤلف بميادين مختلفة - كما تبين مما سبق - ويخصص مساحة لا بأس بها في كل فترة للتعريف بعلماء الجزائر في مختلف العلوم والفنون، وقد يصعب على المتلقي تصنيف هؤلاء ضمن حيز معرفي أو علمي واحد، وهذا راجع إلى طبيعة التعليم في تلك الفترات، فلا نكاد نجد عالما قد تخصص في مجال من المجالات على غرار ما نعرفه اليوم، إلا أنني قد حاولت التركيز في بحثي هذا على كل ما له علاقة بالأدب واللغة من تأليف أو اهتمامات أو ما شابه ذلك.

توارث الشيخ عبد الرحمن الجيلالي حبه للتراجم من علماء بلده - على وجه الخصوص - من أمثال أحمد المقرئ وابن مريم وأحمد الغبريني وأبي القاسم الحفناوي وغيرهم، وهي سنة حسنة يصبو إليها كل عارف بجميل من هم أرقى منه مرتبة في العلم أو - أقول - أسبق منه عهدا في طلبه، ويأتي ذلك من باب الشكر - أولا - عملا بقوله صلى الله عليه وسلم قوله: "مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ لَا يَشْكُرُ اللَّهَ" (الترمذي). ومن باب التعريف بالسلف - ثانيا - وفي هذا السياق أذكر ما نقله أبو بكر الجزائري عن الحسن البصري رحمه الله تعالى في حديثه عن العلماء وفضلهم حيث يقول: "موت العالم ثلثة في الإسلام لا يسدها شيء ما اختلف الليل والنهار بل ورد مرفوعا: موت العالم مصيبة لا تجبر، وثلثة لا تسد ..."².

يحدد أبو بكر الجزائري هؤلاء العلماء ويخصصهم بأنهم علماء الشريعة "المعنيون بقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾"³، وفي قوله: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾"⁴، وقوله: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي

الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ⁵، وقوله: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَانِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ⁶﴾. حيث رفع مقام العلماء العالمين به تعالى وبشرائعه إلى مقام لا يسمو إليه غيرهم، فجعل شهادتهم بعد شهادة الملائكة عليهم السلام. وقوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ⁷﴾ حيث جعل الراسخين في العلم أهلاً لمعرفة تأويل ما لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى، وكفى بهذا شرفاً للعلماء العالمين به تعالى وبشرائعه العاملين بذلك.⁸

ينتمي علماء العربية إلى علماء الشريعة، ذلك أنّ علم العربية من العلوم المساعدة على فهم غيره، وفائدته: "معرفة وجوه الكلام العربي ومراتب فصاحته نثراً ونظماً مما يعين على فهم كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم".⁹ أما فائدة الأدب فيمكن إيجازها في: "تهذيب النفس وترويض الطبع، فيظرف صاحبه ويكمل عقلاً وذوقاً، وبذلك يشرف ويسود"¹⁰. وبعد ما ذكر؛ تجدر الإشارة إلى فضل العربية التي نزل بها القرآن الكريم رحمة للعالمين؛ وذلك جليّ في قول تعالى: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ¹¹﴾.

أعود إلى الجزائر وما أنجبته من علماء، لأورد شهادة من الكاتب عادل نويهض الذي خصص كتاباً لهؤلاء بعد أن احتك بأهل الجزائر، ونهل من الذاكرة المكتوبة ببلدهم؛ فيقول: "كان للجزائر عبر العصور والأجيال -منذ كرمها الله بنعمة الإسلام وتلونت بالصبغة العربية- تاريخ مجيد حافل، ولأعلام رجالها وأئمتها وسلطينها وملوكها في الحضارتين العربية والإسلامية أثر بعيد. فهم الذين أسسوا المدن التاريخية كـ "تبهرت" و"قلعة بني حماد" و"بجاية" وغيرها من الحواضر والمدن، وأنشئوا الجوامع والمساجد، وأقاموا دور الكتب والخزائن، فأصبحت على مرّ الزمان منبعاً للعلوم الإسلامية والعربية، ومناراً للمعارف

والآداب، هوت إليها أفئدة أعلام الفقهاء والمحدثين والمفسرين والأدباء والكتاب والشعراء والمؤرخين من شتى البلدان المشرقية والمغربية، حتى غدت، في كثير من عصورها التاريخية من أهم الأقطار الإسلامية، وأوسعها شهرة وأكثرها عمراناً وازدهاراً¹². ثم يضيف: "وتاريخ هؤلاء الأعلام من أبناء القطر الجزائري موزع في كتب التاريخ والأدب، بعضه ممتزج بغيره من تاريخ أعلام الدول المغربية والمشرقية، وبعضه مدون في مؤلفات الجزائريين أنفسهم أو فيما ألفه غيرهم من كتب عن تاريخ هذا القطر وأدبه وغير ذلك"¹³.

وبعد هذا التقديم؛ أشرع في ذكر العلماء الذين برعوا في مختلف العلوم وكانت لهم ميول واهتمامات لغوية وأدبية، وأشير ههنا إلى أنّ البحث لا يسع التوغل في كل الجزئيات المتعلقة بالشخصية المترجمة، وهذا ما دفعني إلى التركيز على أدق الأمور من ذكر الاسم الكامل وما يرافقه من تواريخ مهمة، وذكر الأساتذة والتلاميذ، وتتبع كل ما له علاقة باللغة والأدب من مؤلفات وقصائد ورسائل وغيرها، وقد لجأت في كثير من الأحيان إلى دعم آراء عبد الرحمن الجيلالي بما جاء في كتب غيره من أخبار.

- محمد النقاوسي (أواخر القرن 9 الهجري - آخر 15م):

هو العالم محمد بن محمد بن محمد بن يحيى بن أبي علي أبو الطيب بن أبي عبد الله المغربي النقاوسي -بالقاف المعقودة- القسنطيني المالكي، واحد من علماء الجزائر الذين توارثوا العلم والأدب والمجد أباً عن جدّ، ابن قاضي مدينة نقاوس. قرأ الشيخ القرآن وبعض العلم بهذه المدينة، ثم انتقل إلى قسنطينة لطلب العلم، ومن ثم إلى تونس "فأخذ الفقه عن إبراهيم الأخذري وأصوله مع المنطق والعربية والمعاني عن أحمد النخلي ومحمد الواصلي"¹⁴. وبعد وفاة والده ارتحل إلى مصر وأخذ التفسير والفقه والتاريخ والأدب عن مشايخ عدّة. وأثناء إقامته بالقاهرة حجّ ثم

عاد إلى بلاده، ثم سكن تونس، ومن بعد ذلك قرر الاستقرار بالحجاز. ولم يذكر عبد الرحمان الجيلالي من آثاره سوى مطلع قصيدته التي قالها في تونس ممتدحا صاحبها¹⁵:

ضحك الربيع وجاء سعد مقبل ولك الهنا ذهب الزمان الممحل
فارفل فديتك في ميادين المنى هذا لواء النصر وافى يرفل
وارخ جواد الجد في أثر العدى فسهم سعدك في الأعادي أنبل

- محمد عبد الكريم المغيلي (909 هـ - 1504 م):

يعرفه عبد الرحمن الجيلالي قائلاً: "هو أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي التلمساني أحد أعلام الجزائر وأبطالها الشجعان في فاتحة القرن العاشر الهجري، ولد بتلمسان ونشأ بها وحفظ القرآن في صغره ورحل إلى بجاية فدرس بها العلم وأخذ عن مشايخها وتدرّب وارتاض على يد أبي العباس الوغليسي¹⁶."

يقدم عبد الرحمن الجيلالي نبذة وافية عن المغيلي مستعينا بالأخبار التي تخر بها كتب سابقه من أمثال أحمد بابا التتبكتي صاحب نيل الابتهاج، الذي يقول: إنه "أخذ عن الإمام عبد الرحمن الثعالبي والشيخ يحيى بن يدير¹⁷ وغيرهما. ¹⁸ أما عن تلامذته فيروي عن التتبكتي قوله: "وكان فيمن أخذ عنه الفقيه أيد أحمد والشيخ العاقب الأصنمي، ومحمد بن عبد الجبار الفيجي في جماعة كثيرة"¹⁹. وللمترجم له مؤلفات ورسائل كثيرة ذكرها التتبكتي وغيره؛ معظمها في الفكر والشرعية، أما في مجال اللغة والأدب فله: مقدمة في العربية وعدة قصائد منها الميمية على وزن البردة وروياها في مدح النبي صلى الله عليه وسلم²⁰.

- أحمد الونشريسي (914 هـ - 1508):

هو "الأستاذ العلامة الشيخ أحمد بن يحيى بن محمد الونشريسي²¹ نسبة إلى مرتفع أرض ونشريس بمقاطعة الجزائر، وهو صاحب المدونة والمعلمة الفقهية الكبرى الشهيرة باسم: المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والمغرب"²². تتلمذ الونشريسي على يد "مشائخ بلده تلمسان كالإمام أبي الفضل قاسم العقباني وولده القاضي أبي سالم وحفيده الإمام محمد العقباني والإمام محمد بن العباس وأبي عبد الله الجلاب وابن مرزوق الكفيف، والغرابلي والمري والمازوني..."²³ وكان رحمه الله متخصصاً في علوم الشريعة والأصول وبعض الفنون، أما عن علاقته باللغة العربية فيخبرنا عبد الرحمن الجيلالي قائلاً: "وكان رحمه الله فصيحاً بليغاً يقول من حضر درسه إنه لو رآه سيبويه لأخذ النحو من فيه"²⁴.

كتب الونشريسي في الفقه والتراجم وما شابه، والظاهر أن شخصيته الأدبية قد تجلت في إنتاجاته الشرعية، ولعل التقريرض الذي كتبه عن ميزات كتابه "إيضاح المسالك إلى قواعد الإمام أبي عبد الله مالك" خير دليل على ذلك، حيث يقول في مطلعته²⁵:

عليك بإيضاح المسالك أولاً فقد ضم أنفاساً نفائس واعتلا
وبرز في مجلى الجمال وجيدها وأحرز أشتات المحاسن واجتلا

- عبد الرحمن الأخضري (983 هـ - 1575 م)²⁶:

يقول عبد الرحمن الجيلالي: "هو العلامة الإمام المصلح الديني، المقdam المحقق الشيخ عبد الرحمن بن سيدي الصغير -بالتصغير- بن محمد بن عامر الأخضري"²⁷. ويعد الأخضري من العلماء الذين جمعوا بين عدة فنون وعلوم، فألف في علوم الحكمة والتصوف والفقه والمنطق والبيان والكلام والحساب والهيئة

والنحو... وقد أقبل الباحثون من مختلف أنحاء العالم العربي على تلك المؤلفات بالبحث والشرح؛ وكتب في مجال اللغة والأدب "الجواهر المكنون" في علوم البلاغة وله أيضا شرح للكتاب نفسه (مخطوط)، كما كتب العديد من المؤلفات العلمية والفكرية بطريقة أدبية، واعتمد في معظمها على طريقة النظم: "نظم الدرة البيضاء في الحساب والفرائض"، و"نظم السلك المرونق في علم المنطق" مع شرح مختصر، و"نظم السراج في الفلك" مع شرحه، ورجز في الحساب، ومنظومة في العمل بالإسطرلاب²⁸ (مخطوطة)...²⁹.

- عمر بن الكماد (960هـ - 1553م)³⁰:

هو أبو حفص³¹ عمر بن محمد الكماد الأنصاري القسطنطيني المعروف بالوزان، من أبرز علماء قسطنطينة في القرن العاشر الهجري، يقول عنه عبد الرحمن الجبالي: "كان جامعيا مشاركا في العلوم الإسلامية معقولها ومنقولها"³². تعلم على يده الشيخ أبو زكرياء يحيى بن عمر الزواوي، وليسيتي، وعبد الكريم الفكون³³، وأبو الطيب البسكري، ويحيى بن سليمان³⁴. وكذلك محمد الكماد (قريبه).

أما عن اللغة والأدب فلا يذكر عبد الرحمن الجبالي شيئا سوى أنه برع في مختلف العلوم، لذلك أضيف ما قاله أبو القاسم سعد الله نقلا عن عبد الكريم الفكون في منشور الهداية: "شيخ الزمان، وياقوتة العصر والأوان، العالم العارف"³⁵. ويذكر إنه لا يجارى في علوم الفقه والأصول والنحو والحديث والتصوف والإفتاء...³⁶ ولأنه اهتم بالتدريس كغيره من علماء عصره؛ نجده مقلا في التأليف، حيث يذكر التتبعي وعنه عبد الرحمن الجبالي القليل من التأليف في الفقه والعقائد والتصوف.

- محمد الخروبي (963هـ - 1556م):

يُعرّفه العلامة عبد الرحمن الجليلي قائلا: "هو الإمام المتضلع أبو عبد الله محمد بن علي الخروبي صدر علماء الجزائر في الدور الثاني من العهد التركي، أصله من طرابلس الغرب من بيت علم وفضل ... كان رحمه الله متمكنا من علوم الشريعة والتصوف متبحرا في معرفة أحوال الدول والممالك ذا دراية واسعة بسياسة الملوك وخبرة تامة بشؤون الحكومات عالما أدبيا بليغ القلم واللسان خطيبا مصقعا ...³⁷ له مجموعة من التأليف والشروح التي تتنوع بين التفسير والأصول والتصوف.

- مصطفى باش تارزي (980هـ - 1572م):

يعرفه الكاتب بالعالم الفقيه الشيخ مصطفى بن العارف بالله سيدي عبد الرحمن باش تارزي القسنطيني، ويؤكد إنه غير شارح المنظومة الرحمانية ومتقدم عليه، ثم يقول: "كان رحمه الله أعجوبة زمانه في الفقه والحفظ والورع والتدين وحيدا في معرفة الفلك شاعرا مجيدا ولّي فتوى الحنفية بقسنطينة ثم القضاء ثم الخطابة ...³⁸ هذا ما يذكره الكاتب كخلاصة لما ذكره عبد الكريم الفكون في كتابه منشور الهداية، ولم يقدّم شيئا من شعره.

- أبو العباس أحمد المقرئ (1041 هـ - 1632 م):

العلامة الأديب الإمام أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد (بن يحيى بن عبد الرحمن بن أبي العيش بن محمد)³⁹ المقرئ التلمساني، ينتمي إلى بيت المقرئ المعروف في تلمسان والمنحدر من قرية مقرة نواحي المسيلة. اشتهر بكتابه "نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب" وهو جامع بين التاريخ والتراجم والأدب ومختلف العلوم، لدرجة أن صاحبه عدّه أول كتاب من نوعه. ويحدثنا العلامة عبد الرحمن الجليلي مستعينا

بما ذكره ابن مريم في كتابه البستان عن عمّ أحمد المقرئ وأخصّ أساتذته المدعو سعيد المقرئ قائلاً: "وكان أبو عثمان هذا إماماً في العلوم العقلية كلها، حساباً ومنطقاً وفرائض وهندسة وطباً وتشريحاً وتنجيماً وفلاحة وبناء، وكثيراً من العلوم القديمة والحديثة أتقن كل علم، حافظاً للغة العرب والشعر والأمثال وأخبار الناس ومذاهبهم وأيام العرب وسيرها وحروبها، ذاكراً أخبار الصالحين وسيرهم وإشارات الصوفية ومذاهبهم"⁴⁰. وهذا من بين الأسباب التي جعلت ابن أخيه أحمد أديباً عالماً في مجالات عديدة. كما ازداد هذا الأخير خبرة من رحلاته الكثيرة إلى المغرب الأقصى ومصر وفلسطين ودمشق، فكتب ما يزيد عن ثمان وعشرين مؤلفاً بين مخطوط ومطبوع.

يُخبرنا الشيخ عبد الرحمن الجيلالي "عن الشيخ يحيى الشاوي أنّه قال: كان سيدي أحمد المقرئ يحفظ جميع الكتب التي في خزانة السلطان الذهبي، حفظها في مدة ثلاث سنين وقال لهم: لو احترقت خزانة السلطان لأمليتها من حفظي"⁴¹. وكان رحمه الله حافظاً للشعر والمديح النبوي على وجه الخصوص، حيث ختم به كتابه نفع الطيب، ورأى أنّه لو وضع في كتابه هذا تلك الأبيات من مديح الرسول - صلى الله عليه وسلم - فقط - لكان ذلك كافٍ. ولم يكن العلامة من حفاظ الشعر وحسب، بل كان شاعراً فحلاً، ومن بين ما قال؛ الأبيات التي ذكرها عبد الرحمن الجيلالي، والتي اختارها في الحنين إلى وطنه الجزائر، أذكر منها⁴²:

قطر كان نسيمه	نفحات كافور ومسك
وكان زهر رياضه	در هوى من نظم سلك
وفيه يقول أيضاً:	

أضواءه طبق المنى وهواؤه	يشتاقه الولهان في الأسفار
والطبع معتدل فقل ما شئت	في الظل والازدهار والأنهار

يقول أحمد المقري عن نفسه في خطبة كتابه نفح الطيب: "العبد الفقير، الدليل المضطر الحقيّر، من هو من صالح الأعمال عريّ: أحمد بن محمد الشهير بالمقري، المغربي المالكي الأشعري، أصلح الله تعالى حاله، وجعل في مرضاته حلّه وترحاله، ومحا بغيث الطاعة والرضوان أمحاله، وأنجح ببلوغ آماله انتحاه وانتحاله"⁴³. ولمن أراد معرفة السيرة المطولة للمقري؛ يُنصح -على سبيل المثال- بمراجعة مقدمة الدكتور إحسان عباس التي بدأ بها تحقيقه لنفح الطيب؛ حيث جمع فيها من أخبار العلامة ومآثره ورحلاته ... الكثير مستعينا بالمصادر المختلفة.

- عبد الكريم بن الفكون (1073هـ - 1663م):

هو عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الفكون، من مواليد قسنطينة، سليل بيت علم وأدب ورئاسة ودين، تعلم على يد والده محمد الفكون، ومحمد التواتي المغربي الذي درّسه النحو والتصريف، والعلامة الرحالة أبو زكريا يحيى بن سليمان الأوراسي ... وكان من رفاق العلامة أحمد المقري وغيره من نوابغ عصره في البلاد العربية. ومن أبرز تلامذته ابنه محمد الفكون وعيسى الثعالبي الجعفري الجزائري؛ الذي نقل عنه عبد الرحمن الجيلالي وصفه للمترجم: "علامة الزمان ورئيس علوم اللسان وفخر المنابر إذا خطب، ولسان المحابر إذا شعر أو كتب ..."⁴⁴.

تولى عبد الكريم الفكون مناصب والده بعد وفاته، فلقب بشيخ الإسلام، وتولى إمارة ركب الحج سنة 1048 من قبل الباشا⁴⁵. كما أخذ عن والده حبّ التأليف في مختلف المواضيع، ومما كتب أذكر: "شرح على شواهد الشريف على الأجرومية"، و"شرح جمل المجردى ومخارج الحروف من الشاطبية" ... وللتعرف على أسلوبه في النثر والشعر؛ يورد عبد الرحمن الجيلالي رسالة من نوع الإخوانيات بعثها الفكون إلى صديقه أحمد المقري المقيم آنذاك بالمشرق، وهي غاية في البلاغة، لا تنقص فيها حلاوة النثر عن حلاوة الشعر، وتظهر فيها

شخصية الكاتب المتصوف الفقير إلى الله، أما الأبيات التي حوتها الرسالة فهي في مدح المقرئ، أذكر منها قوله⁴⁶:

يا نخبة الدهر في الدراية
لا زلت بحرا بكل فن
إلى أن يقول:

أعجوبة ما لها نظير
يا أحمد المقرئ دامت
في الحفظ والفهم والهداية
بُشراك تصحبها الرعاية

يقول عنه أحمد المقرئ في نفح الطيب: "عالم المغرب الأوسط غير مدافع، وله سلف علماء ذوو شهرة، ولهم في الأدب الباع المديد، غير أنّ المذكور مائل إلى التصوف، ونعم ما فعل، تقبل الله تعالى عملي وعمله وبلغ كلاً منا أمله"⁴⁷.

- أبو مهدي عيسى الثعالبي (1080هـ - 1669م):

جار الله أبو مهدي عيسى بن محمد بن أحمد (بن عامر)⁴⁸ الثعالبي -نسبة إلى ثعالبة متيجة بالسهل الجزائري- ولد ونشأ بزواوة وحفظ فيها القرآن وأخذ العلم عن الشيخ عبد الله الصادق، ثم انتقل إلى العاصمة وأخذ عن مشايخها؛ منهم: مفتي العاصمة الشيخ سيدي سعيد بن إبراهيم قدورة، والشيخ أبو الحسن علي بن عبد الواحد الأنصاري. وفي مكة عن: الزمزمي والبابلي والزين الطبري والقاضي تاج الدين المالكي والعمرى. وفي مصر: النور الأجهوري والقاضي شهاب الدين الخفاجي والشيخين الأخوين محمد الشوبري شيخ الشافعية والشهاب أحمد شيخ الحنفية والبرهان المأموني والشيخ سلطان المزاحي والنور الشبراملسي... وفي تونس: الشيخ زين العابدين. وأثناء تجواله في الجزائر عن: الشيخ عبد الكريم الفكون القسنطيني. أما تلامذته فمنهم: العياشي صاحب الرحلة ويحي الشاوي وإبراهيم الكوراني والحسن العجيمي...⁴⁹

برع الثعالبي كبقية علماء عصره في عدّة علوم، فدرّس الحديث بالكتب الصحاح، وكان متمكناً في النحو والتصريف والبلاغة والمنطق والكلام والأصول والفقه والتفسير والتصوف والتاريخ وغيرها من العلوم اللغوية والدينية والفلسفية، ووُصف بعالم المغريين والمشرقين، ومسند الدنيا في زمانه⁵⁰.

- يحيى الشاوي 1096هـ - 1685م):

أبو زكريا يحيى الشاوي لقبا لا نسبة؛ وسبب تسميته الشاوي هو ولادته في ليلة استضاف فيها والده شيخاً جليلاً يدعى يحيى الشاوي. والمترجم له من مدينة مليانة، ووالده هو الفقيه الصالح الشيخ محمد بن محمد بن عبد الله بن عيسى النائلي الملياني. أخذ العلم عن والده، والشيخ أبو عثمان سعيد قدورة (مفتي الجزائر)، وإبراهيم الغبريني، وأبو الحسن علي بن عبد الواحد الأنصاري، ومحمد العربي الزواوي، وأبو مهدي عيسى الثعالبي، ومحمد السعدي أبهلول، والشيخ عبد الكريم الفكون. وتتلذذ على يده داخل الجزائر وخارجها: محمد أمين المحبي (صاحب خلاصة الأثر)، وأبو الإسعاد بن الشيخ أيوب، والشيخ زين الدين البصري، والشيخ عبد الرحمن المجلد، والسيد أبو المواهب سبط العرضي، وسيدي محمد بن الشاهد الكبير (مفتي المالكية بالجزائر)، وسيدي أحمد بن الحاج موسى الجزائري، والشهاب أحمد بن قاسم البوني. ومن تأثر بهم وتأثروا به؛ يذكر عبد الرحمن الجيلالي: الشيخ سلطان، والشمس البابلي، والنور الشبراملسي، وهم من مصر⁵¹.

ترك الشاوي الكثير من المؤلفات التي أكمل بعضها وبقي بعضها الآخر بدون تنمة، وهي في مجالات مختلفة على رأسها العلوم الشرعية واللغوية، وله في مجال اللغة والأدب:

أصول النحو، وشرح على تسهيل ابن مالك، والدر النضيد في إعراب كلمة التوحيد (نظم لامية في إعراب اسم الجلالة)، وشرح على مقامات الحريري،

وكتاب في معنى أي (إلحاق العي بفهم معاني أي)، وحاشية على شرح المرادي للخلاصة في النحو، وحاشية على شرح الشريف للأجرومية، وحاشية على شرح عصام الكافية لابن الحاجب، حاشية على شرح عصام للاستعارات⁵².

- أحمد بن قاسم البوني (1139هـ - 1726م):

هو أبو العباس أحمد بن الشيخ أبي عبد الله قاسم بن محمد المعروف بساسي البوني التميمي المسيتي، المولود ببونة (عنابة)، أخذ العلم عن والده قاسم (بلغت مؤلفاته المائة)، ويحي الشاوي، وسيدي بركات بن باديس القسنطيني (شارح ألفية ابن مالك)، والشيخ عبد الباقي الزرقاني، والأجهوري، والخرشي، والشيراخيتي، وخليل، واللقاني. أخذ عنه العلم جماعة من العلماء من أمثال: ولده محمد، وأحمد زروق، وعبد الرحمن الجامعي⁵³.

أما عن مؤلفاته فينقلها لنا عبد الرحمن الجيلالي عن شيخه الحفناوي -في كتابه تعريف الخلف برجال السلف-⁵⁴ الذي أخذها عن كتاب "التعريف بما للفقير من التأليف" للمترجم له نفسه، وقد تولى الجيلالي ترتيبها وتنظيمها وفق العلوم والفنون المختلفة (التفسير، والحديث، وأصول الدين وعلم الكلام، وأصول الفقه، والفقه، وفنون الأدب واللغة، والسيرة والتاريخ والجغرافية، وفنون الحكمة والطب، والتصوف والمواظ والرقائق والأذكار، أذكر منها ما جاء في مجال اللغة والأدب:

أنس النفوس بفوائد القاموس، وديوان شعر (غير كامل)، ونظم الأجرومية، وشرح على نظم الأجرومية (غير كامل)، وشرح لامية ابن مالك (غير كامل)، ونظم القطر لابن هشام (غير كامل)، وتعجيز التصدير وتصدير التعجيز للبردة، ومجموع في السماع (غير كامل)، والزهرات الوردية المنتشرة من القصيدة المولدية، وإكرام من أحبني أو قلاني، ونظم الجمان في مدح الشيخ سيدي عبد الرحمن، وإعانة المعاني بما للفظ العجز من المعاني، وقرة العينين في مدح

الصحيحين، وأعلام الأعلام في شفاء الآلام في مدح المصطفى عليه السلام، تنوير الحجا بأسرار الحجا...⁵⁵ والملاحظ إن مؤلفاته في العلوم والفنون الأخرى ليست ببعيدة عن مجال اللغة والأدب، إذ كان يعتمد على النظم في تأليفه، ولاسيما نظم كتب غيره (نقلها من طابعها النثري إلى الشكل المنظوم لتسهيل حفظها).

- أبو راس محمد الناصري المعسكري (1165هـ / 1238هـ - 1751م / 1823م):

هو أبو راس محمد بن عبد القادر الراشدي⁵⁶، نسبة إلى بلده الراشدية (معسكر). "نشأ وتربى في أحضان والديه وذويه المشهورين بين قومهم بالانقطاع إلى العلم ومحبة العلماء والتمسك بطريق الصلاح والتقوى، أخذ أولاً القرآن عن والده فقرأه بروايته ورش وقالون، وأتقن بقية رواياته فأحسن رسمه وضبطه على الشيخ منصور الضرير تلميذ سيدي أحمد بن ثابت التلمساني، وأخذ مبادئ علوم اللغة والأدب عن مشائخ وقته بمدينة معسكر، ولزم منهم القاضي الشيخ محمد بن مولاي علي بن سحنون فزاده ذلك رغبة وشوقاً في طلب العلياء، وكان قد فقد والداه طفلاً صغيراً فكفله أخوه عبد القادر بمجاجة"⁵⁷. ويقال إنه ذهب حافياً عارياً إلى مازونة لطلب العلم، فأخذ عن الشيخ ابن علي بن الشيخ ابن عبد الله المغيلي، ورافقه تلك الدروس الشيخ العربي بن نافلة وشيخ الإسلام محمد الصادق بن فغول ومحمد بن عبد القادر قاضي مازونة. ثم عاد إلى معسكر وأخذ عن الشيخ عبد القادر المشرفي والشيخ عبد القادر بن السنوسي بن دحو وأخيه السنوسي⁵⁸. ومن تلامذته الإمام محمد بن علي السنوسي الكبير والأمير عبد القادر الجزائري، ولو لم يكن له غيرهما لكفاه ذلك شرفاً وفخراً⁵⁹.

قال عنه أبو حامد المشرفي: "إنَّه أَلَفَ في سائر الفنون والأسانيد والمذاهب والأصول والأدب والتاريخ والأنساب والتوحيد والمنطق والتصوف واللغة والبيان..."⁶⁰ وقد زادت مؤلفاته عن التسعين.

ذكر عبد الرحمان الجليلي ما وجدته من عناوين لتأليف الشيخ أبي راس المعسكري، ونذكر فيما يلي ما تعلّق منها باللغة والأدب، والتي صنفّها كآلاتي⁶¹:

كتب في الأدب: إزالة الوجع عن قصيدة لامية العجم، وانصباب رحمة الله في انعقاد ديوان أهل الله، والأنوار الجليلة في شرح القصيدة الخليلية، والبشائر والأسعاد في شرح بانة سعاد لكعب بن زهير، والجمان في شرح قصيدة أبي عثمان (شرح سادس)، وجمع الموارد في شرح ما مدحت به من القصائد، والجواهر الأصفية في معرفة العوالم العلوية والسفلية على لامية رافع راس الأندلس، والحلة السعيدة في شرح القصيدة السعيدة (شرح خامس)، وحلتي ونحلتني في تعدد رحلتي، ودرء كل عسير إلى معرفة السيما والكيما والإكسير - على لامية ابن رشد، والدرّة الأنيقة في شرح العقيدة (شرح أول)، والرياض المرضية في شرح الغوثية، والسعي الرابع السعيد في شرح عقيدة الشيخ سعيد (شرح رابع)، وشمس معارف التكاليف في أسماء ما أنعم الله به علينا من التآليف...

وفي البديع: عقد الدرر السطيع في تبیین أنواع العلم البديع.

وفي البيان: نيل الأمانى على مختصر سعد الدين التفتزاني، والجمع بين الإطناب والإيجاز في شرح الخراز.

وفي العروض: مشكاة الأنوار التي يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار.

وفي اللغة: رفع الأثمان في لغة الولايم الثمان، والضابط المختصر من الأزهرى على قواعد القاموس والجوهري، وضياء القابوس على كتاب القاموس.

وفي المعاني: الجوهر اليماني في توضيح ما صعب من علم المعاني.

وفي النحو: الدرة اليتيمة، والحاشية الكبرى على شرح المكودي، والنكت الوافية بشرح المكودي على الألفية، وعمدة الزاد في إعراب "كلا شيء وجئت بلا زاد"، وبغية المرتاد، ونفي الخصاصة في إحصاء تراجم الخلاصة.

وهنا آتي إلى ختام هذا البحث الذي يعتبر تلخيصا للتلخيص، فالتراجم التي أوردها عبد الرحمن الجيلالي في تاريخه العام هي خلاصة لما جاء في كتب المشايخ الجزائريين والأفارقة وغيرهم ممن عاصروهم أو لحق بهم، حيث نهل من نفع الطيب، ونيل الابتهاج، وتعريف الخلف برجال السلف، والبستان... وغيرها من كتب المؤرخين والمترجمين؛ نسأل الله لنا ولهم العافية.

مصادر ومراجع البحث:

القرآن الكريم (برواية حفص عن عاصم).

1. تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م.
2. تعريف الخلف برجال السلف، أبو القاسم محمد الحفناوي بن الشيخ بن أبي القاسم الديسي بن سيدي إبراهيم الغول، مطبعة بيبير فونتانة الشرقية، الجزائر، 1324هـ/1906م.
3. العلم والعلماء، أبو بكر جابر الجزائري، دار الشهاب للطباعة والنشر (عمار قرفي) باتنة، الجزائر، 1405هـ/1985م.
4. البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، أبو عبد الله محمد بن مريم التلمساني، مراجعة محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1326هـ/1908م.
5. نيل الابتهاج بتطريز الديباج، أحمد بابا التنبكتي (963 - 1036)، إشراف وتقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة، وضع الهوامش والفهارس طلاب من

- كلية الدعوة الإسلامية، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا، ط 01، 1398 من وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، 1989م.
6. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، أحمد بن محمد المقرئ التلمساني، تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت، لبنان، 1408هـ/1988م.
7. معجم أعلام الجزائر، عادل نويهض، THE TRADING OFFICE، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1971م.
8. تاريخ الجزائر العام، عبد الرحمن بن محمد الجبلاي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ودار الثقافة، بيروت، لبنان، 1402هـ/1982م.
- الهوامش:

- 1 تاريخ الجزائر العام، عبد الرحمن بن محمد الجبلاي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ودار الثقافة، بيروت، لبنان، 1402هـ / 1982م، الوصف الملحق بالعنوان.
- 2 العلم والعلماء، أبو بكر جابر الجزائري، دار الشهاب للطباعة والنشر (عمار قرفي) باتنة، الجزائر، 1405هـ - 1985م، ص 115، 116.
- 3 من سورة فاطر الآية 28.
- 4 من سورة العنكبوت الآية 43.
- 5 من سورة الزمر الآية 9.
- 6 من سورة آل عمران الآية 18.
- 7 من سورة آل عمران الآية 7.
- 8 العلم والعلماء، أبو بكر جابر الجزائري، ص 115.
- 9 نفسه، ص 75.
- 10 نفسه، ص 75.
- 11 سورة الشعراء الآية 195.
- 12 معجم أعلام الجزائر، عادل نويهض، THE TRADING OFFICE، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1971م، ص 5، 6.

- 13 نفسه، ص 6.
- 14 تاريخ الجزائر العام، عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، ج 03، ص 69.
- 15 نفسه، ج 03، ص 70.
- 16 نفسه، ج 03، ص 71.
- 17 جاء في الطبعة التي اعتمدها من نيل الابتهاج: بن بدير.
- 18 ينظر، تاريخ الجزائر العام، عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، ج 03، ص 71.
- 19 جاء النص معدلا ومصححا باعتبار أنّ شيخنا من الأراضي الجزائرية وهو أدرى بنسبة أهلها، كالأصنمي والفجيجي. ينظر، تاريخ الجزائر العام، عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، ج 03، ص 75. والنص الأصلي في: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، أحمد بابا التتبتكتي (963 - 1036)، إشراف وتقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة، وضع الهوامش والفهارس طلاب من كلية الدعوة الإسلامية، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا، ط 01، 1398 من وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، 1989م، ج 01/02، ص 578.
- 20 يراجع، تاريخ الجزائر العام، عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، ج 03، ص 74، 75. ونيل الابتهاج بتطريز الديباج، أحمد بابا التتبتكتي، ص 578.
- 21 جاء في البستان: سيدي أحمد بن يحيى بن محمد بن عبد الواحد بن علي الونشريسي، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، أبو عبد الله محمد بن مريم التلمساني، مراجعة محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1326هـ/1908م، ص 53. (تراجع الترجمة كاملة للاستزادة).
- 22 عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج 03، ص 76.
- 23 نفسه، ج 03، ص 76.
- 24 نفسه، ج 03، ص 76.
- 25 ينظر بقية التقرير في، المرجع نفسه، ج 03، ص 77.
- 26 تعريف الخلف برجال السلف، أبو القاسم محمد الحفناوي بن الشيخ بن أبي القاسم الديسي بن سيدي إبراهيم الغول، مطبعة بيبير فونتانة الشرقية، الجزائر، 1324 هـ/1906م، ج 01، ص 23.
- 27 تاريخ الجزائر العام، عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، ج 03، ص 79.
- 28 آلة فلكية إغريقية الأصل، طورتها عالمة المسلمة مريم الإسطرلابي.
- 29 يراجع تفصيل ذلك في: نفسه، ج 03، ص 80، 81.

- 30 تراجع ترجمته في، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، أحمد بابا التتبيكتي، ص 307، 308.
- وتعريف الخلف برجال السلف، أبو القاسم محمد الحفناوي بن الشيخ بن أبي القاسم الديسي بن سيدي إبراهيم الغول، ج 01 ص 76.
- 31 جاء في معجم أعلام الجزائر: أبو بكر. ينظر، معجم أعلام الجزائر، عادل نويهض، ص 125.
- 32 تاريخ الجزائر العام، عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، ج 03، ص 106.
- 33 الجد.
- 34 نفسه، ج 03، ص 106.
- 35 تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.
- ج 01، ص 388.
- 36 يراجع، نفسه، ج 03، ص 389.
- 37 تاريخ الجزائر العام، عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، ج 03، ص 107 (بتصرف).
- 38 نفسه، ج 03، ص 109.
- 39 الإضافة من: تعريف الخلف برجال السلف، أبو القاسم محمد الحفناوي بن الشيخ بن أبي القاسم الديسي بن سيدي إبراهيم الغول، ج 01، ص 44.
- 40 نفسه، ج 03، ص 144، 145. والبستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، أبو عبد الله محمد بن مريم التلمساني، ص 105 (يفضل مراجعة النص كاملا من البستان).
- 41 ينظر تاريخ الجزائر العام، عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، ج 03، ص 145.
- 42 نفسه، ج 03، ص 148.
- 43 نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، أحمد بن محمد المقرئ التلمساني، تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت، لبنان، 1408 هـ - 1988م، ج 01، ص 1.
- 44 ينظر، تاريخ الجزائر العام، عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، ج 03، ص 149. ومعجم أعلام الجزائر، عادل نويهض، ص 97.
- 45 يراجع تفصيل ذلك في، تاريخ الجزائر العام، عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، ج 03، ص 149. وتاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، ج 01، ص 528.
- 46 نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، أحمد بن محمد المقرئ التلمساني، ج 02، ص 480، 481، 482. وينظر، تاريخ الجزائر العام، عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، ج 03، ص 153.

- 47 نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، أحمد بن محمد المقرئ التلمساني، ج 02، ص 482. وينظر، تاريخ الجزائر العام، عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، ج 03، ص 153.
- 48 جاءت الإضافة في معجم أعلام الجزائر، ص 127.
- 49 يراجع، تاريخ الجزائر العام، عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، ج 03، ص 169، 170، 171.
- 50 يراجع، نفسه، ج 03، ص 170، 171.
- 51 يراجع، نفسه، ج 03، ص 173، 174، 175.
- 52 يراجع، نفسه، ج 03، ص 176، 177.
- 53 يراجع، نفسه، ج 03، ص 177، 178.
- 54 ملاحظة: جاءت النصوص ههنا في الترجمة الخاصة بابن المترجم له وهو: محمد بن أحمد بن قاسم بن محمد بن ساسي البوني؛ وهو من تلامذة والده أحمد البوني.
- 55 تعريف الخلف برجال السلف، أبو القاسم محمد الحفناوي بن الشيخ بن أبي القاسم الديسي بن سيدي إبراهيم الغول، ج 02، ص 515 ... 522. وينظر، تاريخ الجزائر العام، عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، ج 03، ص 180.
- 56 جاء في تعريف الخلف برجال السلف إنّه: سيدي محمد أبو راس بن أحمد بن ناصر الراشدي الناصري. تعريف الخلف برجال السلف، أبو القاسم محمد الحفناوي بن الشيخ بن أبي القاسم الديسي بن سيدي إبراهيم الغول، ج 02، ص 332.
- 57 تاريخ الجزائر العام، عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، ج 03، ص 570.
- 58 يراجع، نفسه، ج 03، ص 570، 571.
- 59 يراجع، نفسه، ج 03، ص 572.
- 60 يراجع، نفسه، ج 03، ص 574.
- 61 يراجع تفصيل ذلك في: تاريخ الجزائر العام، عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، ج 03، ص 575.